﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٢٠﴾ [الطّور: 17 - 20]

❁ مناسبةُ الآيات لِما قَبْلَها:

التّرغيب بعد التّرهيب

بعد أن بيّن النَّظْمُ الجليل ما يلحق الكافرين من العذاب الأليم الذي لا دافع له ولا مهرب منه؛ أتبعه بذِكْر حال المؤمنين وما يتمتّعون به في ذلك اليوم من صنوف اللذّات، ليقعَ التّرهيب والتّرغيب في سياق واحد، وهذا من سُنن القرآن في ذِكْر الثّواب بعد العقاب، ليتمّ أمرُ الموعظة والدّعوة[1].

ومنها: لمّا ذَكَر عقوبة المُكذّبين المادّيّة والمعنويّة، ذَكَر نعيم المتّقين المادّيّ والمعنويّ؛ ليجمع بين التّرغيب والتّرهيب، لتعيش القلوبُ بين الخوف والرّجاء.

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿فَٰكِهِينَ﴾: (فَكِهَ) أصلٌ يدلّ على طيبٍ واسْتِطابَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الفَكِهُ: الطَّيِّبُ النَّفْس. ومِنَ الباب: الفاكِهَةُ، لِأَنَّها تُسْتَطابُ وتُسْتَطْرَفُ[2]. وفَكِهَ الرّجلُ إذا كان طيِّب النفس مَزّاحًا[3]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥﴾ [يس: 55] أي: مسرورون بما نعَّمَهم الله تعالى في الآخرة؛ وبما تحمّلوا من مشاقّ الصّبر على عمل الطّاعات واجتناب المعاصي. وهو مأخوذ من لفظ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 569، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 22.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فكه).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (فكه).

الفاكهة لأنّ بها يحصل التّلذّذ[1]. وفكَّهْتُ القومَ بالفاكهةِ تفكيهًا، وفاكَهْتُهم مُفاكَهَةً بمُلَحِ الكلامِ والمُزاحِ[2]. والمراد به في الآية الكريمة: متلذِّذين[3].

2) ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: (هنأ) أصلٌ يدلّ على إصابة خير من غير مشقّة[4]. الهَنيءُ: كلّ ما لا يلحق فيه مشقّة، ولا يعقب وخامة. وأصلُه في الطّعام يقال: هَنِئَ الطّعامُ فهو هَنيءٌ. قال ﷻ: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النّساء: 4][5]. وهَنِئَتِ الإبلُ مِن نَبْت الأرض، أي: شَبِعَت، وأكلْنا من هذا الطّعام حتّى هَنِئْنا منه، أي: شَبِعنا. ويقال: هنَأني خيرُ فُلانٍ، أي: كان هنيئًا بغير تَبِعة ولا مَشَقّة، وقد هنأنا اللّه الطّعامَ، وكان طعامًا استَهْنَأناه، أي: استَمرَأناه[6]. والمراد به في الآية الكريمة: "ما لا تنغيصَ فيه ولا نَكَدٍ ولا كَدَر"[7].

3) ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: (تكأ، وكَأ) المُتّكأ: ما يُتّكأ عليه من وسادة ونحوها، وهو مكان الاتّكاء. والاتّكاء: الاعتماد[8]. وأوكأت فلانًا إيكاءً: نصبت له مُتّكَأً[9]. والمُتَّكِئ: كلُّ مَن استوى قاعدًا على وِطاء متمكّنًا، والمُتّكئ عند العامّة من مال في قعوده معتمدًا على أحد شقّيه؛ وأصلُه من الوِكاء، وهو ما يُشَدّ به الكيسُ وغيره، كأنّه أوكأ مقعدتَه وشَدّها بالقعود على الوطاء الذي تحتَه[10]. والتّاء في اتكأت أصلها واو، أي: اوتكيت، فأُدغِمت الواو في التّاء وشُدّدت، وأصل الحرف وكأ يوكئ توكئة[11].

4) ﴿سُرُرٍ﴾: (سر، سرر) أصلٌ يدلُّ على خالص الشّيء ومستقرّه، ومنه السّرير، وجمعه: سرر وأسرّة. والسّرير: الذي يُجْلَس عليه من السّرور؛ إذ كان ذلك لأولي النّعمة خفضَ العيشِ؛ لأنّ الإنسان يستقرُّ عنده وعند دَعتِه[12]. والسَّرير: مُسْتَقَرُّ العيش الذي

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (فكه).
(2) الخليل، العين: (فكه).
(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 384.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هنأ).
(5) الرّاغب، المفردات: (هنأ).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فكه).
(7) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 116.
(8) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (تكأ).
(9) الخليل، العين: (وكأ).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (وكأ).
(11) الخليل، العين: (تكأ)، وابن منظور، لسان العرب: (وكأ).
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سر).

اطمَأنَّ عليه خَفْضُه ودَعَتُه[1]. وجعل الرّاغب والسّمين أصلَه من السّرور، لأنّه مجلس أولي النّعمة. كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: 47]. والسُّرر: جمع سرير، وهو ما يجلس ويضطجع عليه[2].

5) ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾: (صف، صفف) أصل يدلّ على استواءٍ في الشّيء وتساوٍ بين شيئين في المَقرّ. من ذلك الصّفّ، يقال: وقفا صفًّا، إذا وقف كلّ واحدٍ إلى جنب صاحبه. والأصل في ذلك الصَّفْصَف[3]، والصّفصَفُ: هو الفَلاةُ المستَويةُ المَلْساء[4]. والصَّفُّ: السَّطْرُ المُسْتَوي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[5]، وهو أن تجعل الشّيءَ على خطّ مستوٍ، كالنّاس والأشجار ونحوِ ذلك، وصَفَفْتُ كذا: جعلتُه على صَفٍّ. قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾[6]، والمراد به في الآية الكريمة: أنّها مستوية موصول بعضُها ببعض[7].

6) ﴿بِحُورٍ﴾: (حَورَ) أصلٌ يدلّ على لَوْنٍ[8]، فالحَوَرُ: شِدّةُ بياضِ العَيْن وشِدّةُ سَوادِها، ولا يُقال: امرأة حَوْراء إلا لبيضاءَ مع حَوَرِها، والجميعُ: حورٌ[9]. وهو ظهور قليل من البياض في العين من بين السّواد، وأحْوَرَت عينُه، وذلك نهاية الحسنُ من العين، وقيل: حَوَّرْتُ الشّيءَ: بيّضتُه ودوّرتُه، ومنه: الخبزُ الحوّارَى[10].

7) ﴿عِينٍ﴾: أصل (عين) يدلّ على عُضْوٍ به يُبْصَرُ ويُنْظَرُ[11]، يقال لبقر الوحش: أَعْيَنُ وعَيْناءُ لحُسْن عينِه، وجمعها: عينٌ، وبها شُبِّه النّساء. قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقعة: 22][12]. والعَيْن: عِظَمُ سواد العين وسَعَتُها. وهو أعين وهي عيناء، والجمع عين، قال جلّ

(1) الخليل، العين: (سرر).
(2) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (سرر)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صف).
(4) الخليل، العين: (صفف).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (صفف).
(6) الرّاغب، المفردات: (صف).
(7) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 384.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حور).
(9) الخليل، العين: (حور).
(10) الرّاغب، المفردات: (حور).
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عين).
(12) الرّاغب، المفردات: (عين).

شأنه: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الصّافات: 48][1]. والمراد به في الآية الكريمة: عِظم الأعين، مع حُسْنٍ[2].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

بشارة المؤمنين بالنّعيم المقيم

يبشّر الله تعالى عبادَه المتّقين الذين أطاعوه واتّقَوا معاصيه في الدّنيا، بأنّهم في الآخرة سينعّمون في جنّات النّعيم، يعيشون فيها في سرور وفَرَح، ويتمتّعون بما رزقهم الله فيها من أنواع الطّعام والشّراب والمَلذّات، وقد نجّاهم رَبُّهم من عذاب النّار. يُقال لهم تكريمًا: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ جزاء على أعمالكم الصّالحة، دون تعبٍ أو مرض أو خوف من نفاد. يجلسون في راحة على أسِرّة مصطفّةٍ ومتقابلة، وزوّجهم الله تعالى بنساء من الحور العين الجميلات، ذواتِ العيون الواسعة، في كمال النّعيم والسّرور[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاَغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

ذِكْـرُ نعيمِ أهلِ الإيمان بعد ذِكْر عذابِ أهل الكفر

فصل النّظمُ الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾؛ لأنّها مستأنَفَة استئنافًا بيانيًّا، فإنّه لمّا ذكر حالَ المُكذِّبين وما يقال لهم، فكأنّ سائلًا تساءل عن حال أضدادهم وهم المؤمنون، ومن عادة القرآن في التّرغيب والتّرهيب أن يُعقّب الإنذارَ بالتّبشير وعكسه[4].

دلالة تصدير الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾:

صَدَّرَ النّظمُ الجليل الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾؛ للتّأكيد، وذلك للرّدّ على تكذيب الكفّار[5].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عين).
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 384.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 55، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 524.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 45.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 12.

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾:

كـلّ تـقـيّ مآلُـه بنعمة ربّـه إلى جنان عظيمة

عرّف النّظمُ الجليل المتّقين بالألف واللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾؛ للدّلالة على جنس المتّقين، فهو يشمل جميعَ الأفراد منهم.

سرّ اختيار وصف التّقوى في قوله: ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾:

مـقـامُ الـتّـقـوى أعلى المقامات

آثَر القرآنُ الكريم وصفَ التّقوى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ لأنّ مقامَ التّقوى أعلى المقامات، وذلك لأنّ أصحابَ هذا المقام أخذوا بأسباب الوقاية وبذلوا الجهد لتحقيق الوصول إلى هذا النّعيم، وفي هذا دعوةٌ للمسلمين إلى أن يترقّوا في العبادات ليصلوا إلى هذا المقام.

حَذْفُ متعلَّقِ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾:

إفـادةُ عـمـومِ ما يُتّقى

حُذِفَ متعلَّق ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ لإفادة العموم؛ فيُتّقى كلُّ ما يغضب الله ﷻ من الكفر والمعاصي والشّرك، وهوى النّفس.

سرّ التّعبير باسم الفاعل ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ دونَ (الذين اتقوا):

رسوخ المتّقين في صفة التّقوى

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ باسم الفاعل دون (الذين اتقوا)؛ للدّلالة على رسوخهم في صفة التّقوى وتَمكُّنِهم منها، حتى صارت عَلَمًا عليهم؛ فإذا أشرت إليهم بصفة التّقوى مُيّزوا عن غيرهم.

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿فِي﴾:

دلّ التّعبيرُ بالظّرفيّة على أنّ المتّقين ينعمون في كلّ الجنّات، وكأنّ الجنّات صارت ظرفًا لهم، وهم مظروفون فيه.

نُكْتَةُ جمع ﴿جَنَّٰتٖ﴾، وتنكيرِها:

لـلـمـتّـقـين جنانٌ عظيمة لا جنّةٌ واحدة

جمع النّظمُ الجليل لفظَ الجنّات في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾؛ للدّلالة على كثرتها، فهي ليست جنّة واحدة، بل جنّات الفردوس وعَدْن والمَأْوَى، ودارِ السّلام، وهذا أنسب في سياق الامتنان والتّرغيب. ويجوز أن يكون الجمع باعتبار جمع المتّقين،

فكلٌّ منهم يتبوّأ منها مقامًا من درجات هذه الجنّة بحسب عملهم وإخلاصهم. ويجوز أن يكون من باب مقابلة الجمع للجمع التي تقتضي القسمةَ على الآحاد. ودلّ تنكيرها على التّعظيم والتّفخيم[1] الذي يشير إلى الكمال في الصّفة.

نُكْتَةُ عطف (نعيم):

ما في تِلْكُم الجِنان سوى النّعيم

عطف النّظمُ الجليل النّعيمَ على الجنّات في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾؛ وذلك لتأكيد كونهم في نعيم محضٍ خالٍ من التّنغيص، فإنّ البساتين قد يَشْقَى داخلُها أو صاحبُها، فنفى ذلك الشّقاءَ بذِكْر النّعيم بعدها[2]. ويجوز أن يكون من باب عطف المغايرة، ويكون النّعيم من باب كمال الإكرام؛ فيشمل التّنعُّمَ المادّيَّ والمعنويّ؛ أمّا الجنّات فهي للنّعيم المادّيّ.

سرّ التّعبير بقوله: ﴿وَنَعِيمٍ﴾، ودلالةُ تنكيره:

النّعيم وصفٌ جامع لكلّ ما تشتهيه الأنفس وتلذّ به الأعين، ونُكّرَ لتفخيمه وتعظيمه

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ (النَّعيم) في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾؛ لأنّه وصفٌ جامع لما تشتهيه الأنفسُ وتَلَذُّ الأعين من الخيرات والمأكل والمَشْرب والمَلْبَس والمَسْكَن والمتاع. وتنكيره: للدّلالة على تفخيمه وتعظيمه[3].

سرّ اختلافِ التّعبير القرآنيّ في وصف جزاء المتّقين:

النّاظر في آيات القرآن الكريم يجد اختلافَ الأوصافِ في جزاء المتّقين؛ فمرّةً يأتي الحديثُ بهذا الوصف ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: 15]، ومرّةً أُخرى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: 51]، ومرّةً بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ كما هنا، وأخرى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: 54]، وكلّ هذه

(1) الخفاجيّ، عنايه القاضي: 8/ 102.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 12، 13.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 148.

الأوصاف من باب تعدّد الجزاء، وكلّها تَرْسُم صورةَ التّنعُّم للمتّقين من ناحية المكان، أو من ناحية البساتين لوصف هذا المكان، ولتكميل صورةِ الجمال فيها بالأنهار والعيون، ويكمل هذا الجمالُ بالنّعيم الذي يجمع النّعيمَ المادّيّ والمعنويّ، وكأنّي بهذه الآيات تَرسُم صورةَ الجنّة بمساكنها وأنهارها وأشجارها وغذائها.

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ﴾:

بيان زيادة النّعيم للمتّقين

فصلَ النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّها مستأنفةٌ سيقت لبيان زيادة تنعيم المتّقين، لأنّ المُتنَعِّم قد يكون تَنَعُّمُه ظاهرًا وحسب؛ وذلك لأنّ قلبَه مشغول؛ فلمّا قال: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ دلّ على تمام التّنعيم، وأنّه كان ظاهرًا وباطنًا[1].

دلالة التّعبير بقوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾:

طيبُ النّفسِ ومسرّةُ القلوبِ من سمات أهلِ الجِنان

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ ﴿فَٰكِهِينَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ لأنّه لفظٌ يدلّ على الطّيب والاستطابة، فالرّجلُ الفَكِهُ: هو الطّيّب النّفس[2]. فعبّر بذلك للدّلالة على طيبة أنفسهم ومسرّة قلوبهم[3].

أثر تَعَدُّدِ القراءات في قوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾:

تعددّت القراءاتُ في قوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾؛ فقرأ جمهور القُرّاء ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل، وقرأ أبو جعفر ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بدون ألف[4]؛ فَوَجْهُ مَن قرأ بالألف أنّها من التّفكّه، وقيل: بمعنى أصحاب فاكهة ومزاج، وأمّا ﴿فَٰكِهِينَ﴾ بمعنى (فرحين)، وقيل: هما بمعنًى[5].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 206.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فكه).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 45.
(4) السمين الحلبي، الدّرّ المصون: 10/ 727.
(5) ابن الجزري، النشر: 2/ 354.

دلالة التّعبير بالباء في قوله: ﴿بِمَآ﴾:

المَسرّة والطّيب مُسبَّبةٌ عن عطاء الله

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ لأنّها دالّة على السّببيّة، فربُّهم قد أرضاهم بما يحبّون[1]، وبيان السّببيّة هنا للاحتراس من خِسّة الفكاهة؛ فبيّن أنّ ذلك بسبب عطاء ربّهم، لا لدنوّ أنفسهم[2].

دلالة التّعبير بـ (ما) المصدريّة دون الموصوليّة:

إيتاء النّعيم والوقاية من الجحيم علّة السّرور والحبور

عبّر النّظم الجليل بـ (ما) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وهي هنا مصدريّة، أي: فكهين بإيتائهم النّعيم، وبوقايتهم من عذاب الجحيم[3]. ولا يصحّ أن تكون موصولةً هنا لفقدان العائد في صلة الموصول، قال الطّيبيّ: "لا يجوز أن تكون (ما) موصولةً، لفقدان العائد من الجملة المعطوفة، إذِ التّقدير: فاكهين بالذي آتاهمُ الله إيّاه، وبالذي وقاهم ربُّهم عذابَ الجحيم، وليس في الجملة الثّانية عائدٌ إلى الموصول؛ لأنّ (وقاهم) أخذ كِلا مفعولَيه، بخلاف ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾"[4].

دلالة التّعبير بفعل الإيتاء مادّةً وصيغةً:

فخامة وعظمة هذا الثّواب

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالإيتاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دون الإعطاء؛ لأنّ الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات المفعول، وهو الشّيء الذي يُعطى[5]، لذلك عبّر بالإيتاء لأنّ إيتاءَه تعالى لعباده المؤمنين ثابتٌ لا ينقطع، دائمٌ في كلّ حين، ولأنّ التّعبير بالإيتاء يستعمل في الأمور العظيمة مثل: نعيم الجنّات. وجاء التّعبير بصيغة الفعل الماضي للدّلالة على تحقّق العطاء وتأكيد وقوعه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 206.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 569.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 47.
(5) الزّركشيّ، البرهان: 4/ 85.

دلالة التّعبير بلفظ الرّبوبيّة ﴿رَبُّهُمْ﴾ وإضافته إلى ضميرهم:

أعظِم بعطاءٍ يأتي من الله، وأكرم بقومٍ ينتسبون إليه

عبّر النّظم الجليل بلفظ الرّبوبيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ للدّلالة على عظيم ما آتاهم، فإنّه صادِرٌ من ربّهم المُحسن إليهم[1]، وإضافته إلى ضمير المتّقين تشريفًا لهم، وتفخيمًا لشأنهم[2]، وفيه دلالة على تقريبهم وتعظيم مكانتهم.

سرّ التّعبير بالواو في قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾:

بيان عظيم امتنانه على المتّقين

عبّر النّظم الجليل بحرف الواو في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، وهي صالحةٌ أن تكون حاليّةً، فالجملة بعدَها حالٌ من المتّقين، والتّقدير: وقد وقاهم ربّهم عذابَ الجحيم. وذِكْرُ الحال هنا يُراد منه إظهار التّباين بين حالَيِ المتّقين والمُكذّبين، فإنّ ذِكْر النّعمة يكون أكثرَ وقعًا عند ملاحظة ضدّها[3]. وهي صالحة أن تكون للعطف، تعطف الجملة على قوله تعالى: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ لبيان عظيم الامتنان، فإنّه قد أدخلهم جنّاتٍ ونعيمًا، وأنّه قد وقاهم عذابَ الجحيم[4]، وتكون (ما) على هذا مصدريّةً؛ أي: فاكهين بإيتاء ربِّهم، ووقايتِهم عذاب الجحيم.

دلالة التّعبير بـ(وقاهم) مادّةً وصيغةً:

الحفظ من العذاب نعمةٌ جليلة مكمّلةٌ للتّنعيم

عبّر النّظم الجليل بلفظ الوقاية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ دون غيره؛ لأنّه لفظٌ يدلّ على الصّيانة والحفظ[5]، ولأنّه يُؤتَى به غالبًا في سياق الحديث عن الجزاء المُعَدّ للمؤمنين في الآخرة، بوقايتهم من العذاب، والآيات القرآنيّةُ شاهدة على ذلك، منها قوله: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: 201]، وقولُه: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 148.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 206.
(5) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (وقى).

ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: 7]، وإنّما استحقّوا أن يقيَهم ذلك لأنّهم لم يقترفوا ما يوجِب العقاب[1]. فلمّا وصفهم بأنّهم مُتَّقونَ، جعل جزاءَهم أن يقيَهم ما كانوا يحذرون منه وهو عقابه. وجاء التّعبير بصيغة الماضي للدّلالة على تحقّق وقوعِ الفعل، وعلى أنّه وقع قبلَ التّنعُّم[2].

سِرّ التّعبير بالإظهار ﴿رَبُّهُمْ﴾ دون الإضمار، مع دلالة الإضافة:

بـيـان عـظـيـم امـتـنـان الـلـه تعالى على أهل الجنّات

أظهر النّظمُ الجليل لفظَ الرّبوبيّة دونَ الإضمار في قوله جلّ شأنه: ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فلم يقل: (آتاهم ربُّهم ووقاهم)؛ وذلك لجعل كلِّ فعلٍ منهما مستقلٍّ باتّصافه، بأنّه صادرٌ من المولى تعالى لبيان عظيم الامتنان به، وأنّه جاء على وجه الكمال. وفي الإضافة في قوله: ﴿رَبُّهُمْ﴾ مزيدُ تشريفِهم، بإضافتهم إليه تعالى[3].

دلالة التّعبير بلفظ العذاب:

حـفـظ الـلـه المتّقين من ورود مسالك الإيلام والعذاب

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ العذاب في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ لبيان تفضُّلِه سبحانه عليهم بأن حفظهم من الألم والوجع؛ لأنّ لفظَ العذابِ يدلُّ على الإيجاع الشّديد، والحبس في العذابِ[4]. وفيه إشارة إلى صيانتهم من الألم الذي استحقّه أهلُ الكفر.

دلالة التّعبير بالجحيم:

الـحـفـظ من العذاب الشّديد دليلٌ على عظم الإنعام

عبّر النّظمُ الجليل بالجحيم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ دون غيره من أوصاف العذاب؛ لأنّ الجحيم هي نارٌ شديدةُ الحرارة، بعضُها فوقَ بعض، وكلُّ نارٍ عظيمة في مهواة يطلق عليها جحيم؛ يُؤكّد هذا ما ذكرَه القرآنُ من موقف أعداء سيّدنا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 113.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 148.
(4) الرّاغب، المفردات: (عذب).

إبراهيمَ منه بقوله: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧﴾ [الصّافات: 97]، وفي التّعبير به دلالةٌ على عظيم إنعامه عليهم، وذلك بأنّه قد حفظهم ووقاهم العذابَ شديدَ الإحراقِ، فالجحيم هي النّار الشّديدةُ التّوقّدِ، وعظيمةُ الإحراق[1].

نُكْتَةُ فصل الآية عن سابقتها:

بيان ما يقال للمتّقين في الجنّة بعد دخولهم فيها

فصل النّظمُ الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ لأنّها مستأنَفة سيقت لبيان حال المتّقين في الجنّة، أي يقال لهم: كلوا واشربوا، وهو قولٌ يقابل ما قيل للمكذّبين: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2]. وفي عدم ذِكْر القول إشارةٌ إلى عدم تعيين القائل؛ لأنّ الغرض هو بيان أهميّة المَقول لهم.

دلالة الأمر في ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾:

أوّلُ منازلِ التّكريم الدّعوةُ إلى ما فيه إقامةُ البَدَن من المأكل والمشرب

عبّر النّظمُ الجليل بفعلَي الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ تكريمًا لهم، أي: يقول لهم خزنة الجنّة على وجه الدّوام: كلوا واشربوا[3]. فالأمر دالٌّ على التّكريم والتّأنيس، وذلك أنّ زمان الخوف قدِ انتهى، فمن دُعيَ للأكل عَلِم أنّه لم يبق شيءٌ بينَه وبين نيل ما يتمنّى.

نُكْتَةُ تقديمِ الأكل على الشّرب:

لشِدّة الحاجّة إليه، وكثرةِ تنوّعِه مع التّلذُّذِ به

قدّم النّظمُ الجليل ذِكْر الأكل على الشّرب في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾؛ لأنّ الأكل مقدّم على الشّرب في التّنعّم، لكثرة الحاجة إليه، ولكثرة التّنعّم والتّلذّذ به، وكثرة أنواعه إزاء الأشربة.

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 113.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 55.

فذكر أسبابَ التّنعُّم على التّرتيب[1]، ولأنّ الأكل لا يُستَغنى عنه كثيرًا؛ بخلاف الشّرب، فمُدّة الاستغناء عنه أطول، ولأنّ بعضَ المأكولات في دواخلها الماء.

سرُّ حذفِ مفعولَيْ ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾:

تعميم المباحات من جزيل الكرامات

حذفَ النّظمُ الجليل مفعولَي الأكلِ والشّرب في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ وذلك لأنّ الإطلاق والتّعميم أنسبُ في سياق الإكرام والتّنعيم، أي: كلوا كلّ ما يُؤكل، واشربوا كلَّ ما يُشرب، والمراد من هذا العمومِ الأكلُ ممّا يشتهون[2].

دلالة التّعبير بـ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ مادّةً وصيغةً:

الدّلالة على أنّ أكل أهلِ الجنّة خالٍ من المفاسد المعهودة في الدّنيا

عبّر النّظمُ الجليل بالوصف (هنيء) في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، وهو يدلّ على أنّ الأكل والشّراب لا مشقّة فيه، ولا يعقبُه سوءٌ[3]، وأنّه لا نقص فيه، وهو صفة على وزن (فعيل) بمعنى (مفعول) موضع المصدر، أي: هنأتم بما تأكلون وتشربون[4]. وفائدة هذا الوصفِ الإشارةُ إلى خُلوّ تلك النّعم عن المفاسد التي عهدوها في الأكل والشّراب في الدّنيا، منها: أنّ الآكل يخاف من المرض، فلا يهنأ له الطّعام، أو أنّه يخاف نفادَه لقلّته فلا يسخو بالأكل، وغيرها من المنغّصات، وكلّ ذلك منتفٍ في الجنّة فلا مرضَ ولا انقطاع، ولا تعبَ في تحصيله[5]. ولأنّ التّعبير بقوله: ﴿هَنِيٓـَٔۢا﴾ مع ما يفيده من السّلامة من المفاسد يُضيف معنى السّرور والفرح والتّلذّذ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 206.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(3) الرّاغب، المفردات: (هنأ).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 13، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 46.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 206.

دلالة حذف الموصوف مع قوله: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾:

كثرةُ مأكولِ ومشروب أهل الجنّة وتنوّعُهما

حُذِفَ الموصوف لقوله: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾، وتقديره: أكلًا هنيئًا، وشرابًا هنيئًا، وسِرّ ذلك الدّلالة على كثرة المأكول والمشروب وتنوّعِهما. وفيه إشارة إلى أنّ الهناءة صارت صفةً لازمة لا تنفكُّ عنهما، وذلك للتّفريق بين أكل وشُرْب الدّنيا، وأكلِ وشُرْب الآخرة.

دلالة التّعبير بالباء في قوله: ﴿بِمَا﴾:

صالح الأعمال علّةٌ لنيل الرّحمة

عبّر النّظم الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ وذلك لدلالتها على السّببيّة، أي: هنأكم الأكلُ والشّرب بسبب عملكم[1]. ويجوز أن تكون للبدل، أي: بمقابلة ما عملتم[2]، فيكون الجزاء الذي نالوه إنّما ترتّب على عملهم واجتهادهم بالصّالحات.

دلالة التّعبير بـ (ما):

كلّ الأعمال الصّالحة معتبرة في الإكرام

عبّر النّظمُ الجليل بـ (ما) في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ – وهي هنا موصولةٌ – دونَ (الذي)؛ لأنّها تُفيد العموم، والمعنى: كلوا واشربوا هنيئًا، بسبب كثرة الأعمال الصّالحة التي كنتم تعملونها[3]، وفي هذا دعوةٌ إلى الإكثار من الأعمال الصّالحة؛ لأنّها تزيد في أسباب التّنعيم.

نُكْتَةُ دخولِ فعل الكوْن:

الأعمال الصّالحة طبعٌ راسخٌ في أهل التّقوى

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ دون أن يقول: (بما تعملون)؛ للدّلالة على رسوخهم في قيامهم بهذه الأعمال[4]، وأنّهم يزاولونها دَأبًا سجيّةً وطبعًا، فهو تعبير عن شدّة صلاحهم، وكثرة أعمالهم.

---

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 48.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 148.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 13.

دلالة التّعبير بالعمل مادّةً وصيغةً:

ما فُعِل بقصد من الأفعال هو المُعتَبر في الجزاء

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالعمل في قوله جلّ شأنه: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ دون الفعل؛ لأنّ العمل يتميّز بالقصد، وهذا واضح في سياق آيات القرآن الكريم التي ربطت بين الإيمان والعمل، مثلِ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: 277]، والآيات في هذا كثيرة، وعلى هذا فالعمل أخصّ من الفعل[1]. وجاء التّعبيرُ بالفعل المضارع للدّلالة على أنّهم يُؤدّون تلك الأعمالَ مجدِّدين لها على سبيل الاستمرار، حتّى كأنّها صارت طبعًا لهم[2]، وفي المقابل: فيه دلالةٌ على تجدّد النّعيم واستمراره، وعدمِ انقطاعه.

سرّ اختلافِ التّعبير مع تنعُّم أهلِ الجنّة وعذاب أهل النّار:

النّاظرُ في هذه الآيات القرآنيّة التي تحدّثت عن نعيم أهل الجنّات يجد قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ في حقّ المؤمنين، ومع أهل الكفر جاء التّعبير: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، يجد اختلافًا في الأسلوب؛ فمع أهلِ الكفر جاء التّعبير بكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ التي هي للحصر؛ أي: لا تُجزَون إلّا ذلك، ولم يُذْكَر هذا في حقّ المؤمنين؛ لأنّ الله يجزيهم أضعافَ ما عملوا ويزيدهم من فضله. ومن اختلاف الأسلوب أنّه قال مع أهل الإيمان: ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾، وقال مع أهل الكفر: ﴿مَا كُنتُمۡ﴾؛ أي: تُجْزَون عينَ أعمالِكم، إشارةً إلى المبالغة في المماثلة؛ كما تقول: (هذا عينُ ما عملتَ)؛ أمّا مع أهل الإيمان فالتّعبير يدلُّ على أنّ ذلك كأنّه أمرٌ ثابتٌ مستمرٌّ مستحَقٌّ بعملكم هذا. ومنه أنّه ذَكَر الجزاء مع أهل الكفر بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، ومع أهل الإيمان: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ لأنّ الجزاء يُنبِئ عن الانقطاع؛ فإنّ مَن أحسن إلى أحد فأتى بجزائه لا يتوقّع المُحْسِن منه شيئًا آخر[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 13.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 509.

دلالة التّعبير بالاتّكاء:

إبرازُ حالةِ التّرف والـرّفـاهـيـة في الأكل والشّرب

عبّر النّظمُ الجليل بالاتّكاء في قوله جلّ شأنه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ لبيان حالهم في حالة الأكل والشّراب، فهو حال من ضمير المخاطَب في فِعْلَي الأمر ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾، أي: يقال لهم كلوا واشربوا حالَ كونهم متكئين[1]. وفائدة هذا الحال التّنبيهُ على أنّهم مخدومون، وهو ما لا تتمّ النّعمةُ إلّا به، واللّفظ دالٌّ على الاستناد، فهم مستندون استنادَ راحةٍ لكونهم مخدومين، لأنّ هناك من يقوم على خدمتهم، فلا حاجةَ بهم إلى الحركة[2].

سرّ التّعبير بالسُّرُرِ دونَ الأرائك:

السُّـرُرُ أعـمُّ من الأرائك

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالسُّررِ في قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ دون الأرائك؛ لأنّه أراد بيانَ مكانِ جلوسهم واستقرارهم، ولوجود فرقٍ بينهما؛ فأصلُ السّرير يدلُّ على مستقرّ الشّيء[3]، فهو مأخوذ من الاستقرار. والسّررُ: جمع سرير، وهو ما يُجْلَس ويُضطجَعُ عليه[4]. أمّا الأريكة: فهي سرير في الحَجَلة من دونه سِتر، ولا يسمَّى منفردًا أريكةً، وهو كلّ ما اتُّكِئَ عليه من سَريرٍ أو فِراش أو مِنَصَّةٍ[5]. وهي سريرٌ منجَّد مزيَّنٌ في قبّةٍ أو بيت، فإذا لم يكن فيه سريرٌ فهو حَجَلَةٌ، والجمع الأرائك[6]. فالأريكة أخصّ من السّرير، وهي من الاتّكاء.

نُكْتَةُ التّعبير عن السُّرر بالجمع والتّنكير:

مـــواطـــن جلوسِهم كثيرة وفـيرةٌ عظيمة الهيئة

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ السُّرُرِ نكرةً في قوله جلّ شأنه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾؛ للدّلالة على كثرتها وعَظَمتها، فهي سُررٌ غايةٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 13.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سر).
(4) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (سرر)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (أرك).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (أرك).

في الفخامة والتّعظيم، وذلك لبيان مزيد الإنعام. والجمع فيها يدلُّ أنّ لكلّ واحد منهم سُرُرًا كثيرةً[1]، أو أنّ جلوسهم يكون باجتماعهم.

فائدة وصفِ السُّرُر بأنّها ﴿مَّصۡفُوفَةٖۚ﴾:

اجتماع الأحبّة على ما فيه مسرّتهم أدعى لمزيد السّرور

وصف النّظمُ الجليلُ السُّرُرَ بأنّها مصفوفة في قوله جلّ شأنه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۚ﴾؛ للدّلالة على حُسْن رصفها ونظامها، فهي منصوبة واحدًا إلى جنب واحد، منتظمةٌ مستويةٌ كأنّها سور، ممّا يبيّن حُسْنَ نظامِ الجنّة[2]. كما أنّه يدلّ على أنّهم يأكلون طعامهم متكئين مجتمعين، وذلك بمصاحبة إخوانهم وأحبابهم وذريّاتهم، وهذا أدعى للأُنس والسُّرور[3].

دلالة التّعبير بالواو في قوله: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾:

الاستقرار في الجنان نعمة على المتّقين، وتزويجُهم بالحِسان من تمام الإكرام

عطف النّظمُ الجليل الجملةَ الخبريّةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ على الخبر شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾، فهو عطف خبر على خبر، فيكون خبرًا آخر في المعنى[4]. وفائدة الخبر هنا التّنبيهُ على تمام السّرور بالجنّة إذ قد زوّجهم بالنّساء الحسان فيها[5].

دلالة التّعبير بالتّزويج في قوله: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾:

تمام سرور أهل الجنة التّنعّم بالنّساء

دلّ التّعبير بالتّزويج في قوله: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ على نعمة من نعم الله على أهل الجنّات، بعد ذِكْر المسكن والمأكل والمشرب، وهي التّزويج بالحور العين، وذلك لأنّ السّرور لا يتمّ إلّا بالتّنعّم بالنّساء.

نُكْتَةُ إسنادِ تزويجهم إلى ضمير العظَمة:

الله سبحانه هو الذي يتولّى الإنعامَ على أهل الجنّة بتزويجهم

أسند النّظمُ الجليلُ فعلَ التّزويجِ إلى نون التّعظيم في قوله جلّ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 207.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 113.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 284.
(5) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 113.

شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ للدّلالة على أنّه سبحانه هو الذي يتولّى هذا الإنعامَ بتزويج الطّرفين، فيزوّج عبادَه بإمائه، وهذا دليلٌ على مزيد فضله وكرمه بتيسير ما فيه راحةُ العباد. وفيه إشارةٌ إلى أنه تزويج عظيم، أي: زوّجناهم تزويجًا عظيمًا يليق بما لنا من العظَمة[1].

دلالة تعدية الفعل ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ بالباء:

عدّى النّظمُ الجليل فعلَ التّزويج بالباء في قوله جلّ شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾، دون أن يقول: (وزوّجناهم حورًا)؛ وذلك لأنّ فعل التّزويج هنا ليس بمعنى: أنكحناهم، ولكنّه وارد بمعناه اللّغويّ الحقيقيّ، وهو جَعْلُ الشّيءِ المُفردِ زوجًا، وليس المراد المعنى العرفيّ الدّالّ على عقد النّكاح[2]. فالتّزويج ليس بمعنى الإنكاح بل بمعنى تصييرهم زوجين زوجين[3]. وفيه إشارةٌ إلى أنّ المنفعة في التّزويج لهم، وذلك لاستمتاعهم بالحور العين، والتّلذّذ بِهنَّ[4].

التّزويج بمعنى المزاوجة والإقران، لا بمعنى النّكاح

دلالة الباء في ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بحرف (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ للدّلالة على صرف الفعل (زوجناهم) عن ظاهره؛ لأنّه إذا كان بمعنى النّكاح تعدّى بنفسه كما في قوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: 37]؛ أمّا هنا فتعديتُه بالباء جَعَلَتْهُ بمعنى: (قَرَنّاهم)، أي: جعلناهم أزواجًا مقرونين بحور عين[5]. وجعلها الإمامُ ابن عاشور للمصاحبة، أي: جعلنا حورًا عينًا معهم[6].

الحور العين في صحبة المتّقين بالإقران والملاصقة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 13.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 102.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 509.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 297.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.

سرّ التّعبير بـ(حور) مع دلالة التّنكير:

حُسْنُ العيون وحَوَرُها من العظمة في غايتها

دلّ التّعبير بوصف (حور) لنساء أهل الجنّة على شدّة بياضِ العين وشِدّة سوادِ سوادها، واستدارةِ حدقتها، ورِقّة جفونها - على كمال جمالهنّ[1]. وعبّر النّظمُ الجليل عن الحور بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ لتفخيم شأنهنّ وصفاتهنّ، فهنّ في غاية الحسن والجمال.

الموقع النّحويّ لقوله: ﴿عِينٍ﴾:

عينُ تلك الحورِ بلغت الكمالَ في السّعة والحُسْن

وصف النّظمُ الجليلُ الزّوجاتِ في الجنّة بصفة ثانية وهي العين في قوله جلّ شأنه: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ وذلك لتكميل وصفِ العيون، أي: هنّ واسعاتُ الأعين، مع حُسْنٍ ورَوْنق[2]. وفيه إشارةٌ إلى عدم الاقتصار في وصفهنّ بالحُسْن، بل اختار الأحسن من الأحسن؛ فإن أحسن ما في صورة الآدمي وجهه، وأحسن ما في الوجه العين؛ لذلك اختار التّعبير بقوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ لدلالته على حُسْن المزاج في الأعضاء، ووفرةِ المادّة في الأرواح[3].

❁ الفروق المعجميّة:

السُّرُر والأرائك:

السّرير مكانُ الجلوس والاضطجاع، والأريكة متّكأٌ أو سريرٌ في حَجَلةٍ

أصل السّرير يدلُّ على مستقرّ الشّيء[4]، فهو مأخوذ من الاستقرار. والسّرر: جمع سرير، وهو ما يجلس ويضطجع عليه[5]. أمّا الأريكة فهي سرير في الحَجَلة من دونه سِتر ولا يسمَّى منفردًا أريكةً، وهو كلّ ما اتُّكِئَ عليه من سَريرٍ أو فِراش أو مِنَصَّةٍ[6]. وهي

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 298.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 14.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 509.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سر).
(5) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (سرر)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 47.
(6) ابن منظور، لسان العرب: (أرك).

سريرٌ منجَّد مزيَّنٌ في قبّةٍ أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَةٌ، والجمع الأرائك[1].
فالأريكة أخصّ من السّرير، وهي من الاتّكاء، وعبّر في الآية بالسّرر دون الأريكة لأنّه أراد بيانَ مكانِ جلوسهم واستقرارهم.

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (أرك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"